

شعراء العصر الأموي:

الفرزدق

هو أحد أبرز شعراء العصر الأموي في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، كان بارعا في شعره قويا في أسلوبه، ولاقت قصائده شهرة واسعة في عصره.

الفرزدق هو همام بن غالب بن صعصعة المولود في البصرة في السنة العشرين للهجرة، أمّا أمّه فهي ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس، وهو صحابي جليل كان من أشراف العرب في العصر الجاهلي. ويُشار إلى أنّ الفرزدق في مرحلة الشباب كان يُكنّى (بأبي مكّيّة)؛ تيمناً باسم ابنة له، أمّا الفرزدق فهو لقب أطلق عليه لخشونة ملامح وجهه.

اشتهر الفرزدق بنسبه الرفيع؛ فهو من قبيلة بدوية كان لها مكانة مرموقة وشأن عظيم في الجاهلية تُدعى (دارم) التي عُرفت بسطوتها بين القبائل، أمّا والده فقد اشتهر بالعزّة، والكرم، وكان جدّه صعصعة سيّداً في قومه سلك طريقاً كريماً كان سبباً في شهرته؛ وذلك حين اشترى أكثر من أربعمئة مؤودة وأنقذهنّ من الموت، وقد تأثر الفرزدق بجدّه، وورث عنه حبّ النجدة التي ذكرها، وعظّمها كثيراً في شعره، ويُذكر أنّ الفرزدق اكتسب من نشأته في البادية خصال أهلها؛ فكان حادّاً في طبعه، قوياً في جداله، يملك لغة صحراوية صعبة، الأمر الذي أكسبه طباعاً لم تتغيّر. أمضى الفرزدق حياته مُتَنَقِّلاً بين الخلفاء والولاة، يمدحهم تارةً، ويهجوهم تارةً أخرى، وقد عُرف عنه حبه وولاؤه لآل

البيت؛ فكان يُجاهر بهذا الحبّ في شعره مادحاً إياهم، ومدافعاً عنهم لا يخشى في ذلك لومة لائم، ولعلّ مدحه لزين العابدين علي بقصيدته المشهورة (الميمية) خير دليل على هذا الولاء، ورغم هذا الحبّ لآل البيت إلّا أنّ ذلك لم يمنع الفرزدق من التقرب إلى الأمويين مادحاً إياهم طالباً ودّهم، لا سيّما في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان وأبنائه. عندما أصبح زياد بن أبيه حاكماً على العراق عام ٦٦٩م رحل الفرزدق مُرغماً إلى المدينة، وعاش هناك سنوات عدّة وعندما تُوفي زياد بن أبيه عاد إلى البصرة، وتقرّب إلى واليها عُبيد الله بن زياد ومدحه فحصل على دعمه، وفي عام ٦٩٤م أصبح الحجاج حاكماً على العراق، فتقرّب إليه الفرزدق ومدحه، ويُشار إلى أنّ الفرزدق عاصر في حياته الكثير من الشعراء الذين كان من أشهرهم: الأخطل، وجريز، وكعب بن جعيل، والأحوص، وكثير. ويُذكر أنّ الهجاء بينه وبين جرير دام أربعة عقود انقسم الناس خلالها إلى فريقين مُتخاصمين؛ جريراً، وفرزدقياً. صفات الفرزدق لم يكن الفرزدق على قدر عالٍ من حسن الصورة والمظهر، إلّا أنّه كان مُعتزّاً بنفسه مُعجباً بها رغم ذلك، وكان شديد العناية بهندامه ولباسه المصنوع من الديباج والخزّ، كما عُرف عنه حرصه على لبس المجوهرات الفاخرة، وتخضيب لحيته وشعر رأسه، أمّا أخلاقه فقد اكتسبها من البادية؛ فكان فصيحاً ذكياً سريع الجواب والبديهة، وكان كثير الزهو والافتخار بنفسه، وبقومه. ورغم ما عُرف عن الفرزدق أحياناً من صفات غير مُحبّبة، إلّا أنّه كان ذا منزلة عالية في ميدان الحياة الأدبيّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة في العهد الأمويّ؛ فقد كان سيّداً شريفاً في قومه، يُنسب إلى قبيلة ذات مكانة رفيعة. كما ذُكر سابقاً، كما كان من فحول الشعراء في ذلك الوقت والذين استطاعوا من خلال شعرهم أن يؤثّقوا الكثير من الأحداث التي مرّ بها العرب في ذلك الحين.

*منزلة الفرزدق وآثاره :

ترك الفرزدق في الشّعر إرثاً عظيماً تمثّل بديوانٍ زخر بفنون شعرية عدّة كان أعظمها في المديح، فيما تتوّع باقيها بين فخر، وهجاء، وغزل، ومن الجدير بالذكر أنّ أشعار الغزل المعروفة عن الفرزدق كانت قليلة إذا ما قُورنت بما تركه جرير منها، إلّا أنّه في الفخر كان له الباع الأطول، أمّا أشعار النقائض التي جمعتها به فقد طُبعت في مجلّدين كبيرين ، كما عُرِف عن الفرزدق ميله إلى نظم قصار القصائد أكثر من طوالها؛ نظراً لكونها أسهل للحفظ، وأكثر شيوعاً في المجالس

*شعر الفرزدق:

يُعتَبَر الفرزدق واحداً من فحول الشعراء الثلاثة في العصر الأمويّ، أمّا الشاعران الآخران، فهما: جرير، والأخطل، وقد كوّن هؤلاء الشعراء ما سُمّي بالمثلث الأمويّ إلى الحدّ الذي اختلف فيه الناس حول أفضليّة أحدهم على الآخر؛ فقد نظم الفرزدق شعره في مختلف الأغراض الشعرية المعروفة؛ فله قصائد في الفخر، والهجاء، والمديح، والغزل، والرتاء، إلّا أنّ الفخر كان أكثر ما لاءم طبعه، تلاه الهجاء، ثمّ المديح كما أنّ له قصائد جيّدة في الرتاء كان منها ما رثى بها نفسه بقوله: "أنا مدينة الشعراء"، وله القليل من الغزل، والرجز، وتميّزت أشعار الفرزدق برصانة التراكيب، وقوة الألفاظ، وجزالتها، كما عُرِف عنه استخدامه

للغريب منها، وقيل عن شعره : (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ونصف أخبار الناس) فيما اعتبره المؤرخون من أكثر الشعراء نظماً في الفخر؛ لأنّ بواعثه اجتمعت فيه؛ فهو ينتمي إلى قبيلة ذات نسب رفيع، ويملك عزيمة عالية كانت بارزة في شعره.

*شعر النقائض مع جرير:

تعود نشأة النقائض بين الشاعرين: جرير، والفرزدق إلى عداوة نشبت بين جرير وشاعر يُدعى غساناً من سليط؛ أحد فروع قبيلة بني يربوع، وانضمّ إليهما شاعر من مجاشع؛ وهم قوم الفرزدق، فتغلب عليه جرير، ممّا جعل رجال بني مجاشع، ونساءهم يهرعون إلى الفرزدق طالبين نجده؛ لمساندة شاعر قبيلتهم والردّ على جرير، وكان الفرزدق في هذه الأثناء قد عقد العزم على هجر الشعر، وسخر نفسه لحفظ القرآن الكريم، إلّا أنّه خاض هذه المعركة التي ظلّ عالقاً فيها حتى مماته. تطوّرت المعركة الشعرية بين جرير والفرزدق، وكان لسوق المربد الواسع الأثر الأكبر في هذا التطوّر؛ حيث ساهمت الجموع الغفيرة التي كانت ترتاده وترغب في قضاء الوقت فيه في تحويل هذه الخصومة إلى مُفاضلة بين قبيلتي الشاعرين، بل وامتدّت لتطال قبيلتي قيس، وتميم، ويذكر أنّ هذا السجال هداً قليلاً في عهد الحجاج، ثمّ ما لبث أن عاد بشدّة بعد مماته، إلّا إنّ ما يثير الغرابة هو أنّ الشاعرين لم يكونا خصمين إلّا في الشعر؛ إذ كانت تربطهما علاقة صداقة ووُدّ يدلّ عليها ما كتبه جرير من أبيات رثاء في الفرزدق بعد موته.

*فضل الفرزدق بإثراء الشعر العربي:

- ١- تميز الفرزدق بشعره بأكثر من لون لم يقدمه أي شاعر
- ٢- الفرزدق شاعر عبقرى بتناقضاته الشعرية ، تملك سر اللغة العربية بتصريفها كيفما شاء
- ٣- له الفضل في تقدّم فن شعر الفخر والهجاء والتناقضات التي ارتقت الى أعلى المراتب
- ٤- الفرزدق أحد من أسس وقام على مناكبه الشعر العربي زمن الحكم الأموي في الشام، فلم يترك فنا بالشعر الا تتطرق له ونظمه لكن غلب عليه شعر التفاخر الذي ابدع فيه، لموافقة طباعة الشخصية فضلاً عن شعر المدح والهجاء.

من أهم قصائد الفرزدق ما قالها في مدح زين العابدين.

يَا سَائِلِي أَيْنَ حَلَّ الْجُودِ وَالْكَرَمِ *** عِنْدِي بَيَانٌ إِذَا طُلَّابُهُ قَدِمُوا
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَأَّتَهُ *** وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ *** هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
هَذَا الَّذِي أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ وَالِدُهُ *** صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهِي مَا جَرَى الْقَلَمُ
لَوْ يَعْلَمُ الرُّكْنُ مَنْ قَدْ جَاءَ يَلْتَمُهُ *** لَخَرَّ يَلْتَمُ مِنْهُ مَا وَطَى الْقَدَمُ
هَذَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَالِدُهُ *** أَمَسَتْ بِنُورِ هُدَاهُ تَهْتَدِي الْأُمَمُ
هَذَا الَّذِي عَمَّهُ الطَّيَّارُ جَعْفَرُ *** وَالْمَقْتُولُ حَمْرَةٌ لَيْثٌ حُبُّهُ قَسَمُ
هَذَا ابْنُ سَيِّدَةِ النِّسْوَانِ فَاطِمَةَ *** وَابْنُ الْوَصِيِّ الَّذِي فِي سَيْفِهِ نَقَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا *** إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ *** رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

وَلَيْسَ قَوْلُكَ: مَنْ هَذَا؟ بِضَائِرِهِ *** الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ
يُنَمِّي إِلَى ذُرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ *** عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ *** فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
يَنْجَابُ نُورُ الدَّجَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ *** كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ
بِكِفِّهِ خَيْرَرَانٍ رِيحُهُ عَيْقٌ *** مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ
مَا قَالَ: لَا قَطُّ، إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ *** لَوْلَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَأَوْهُ نَعَمُ
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ *** طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْخِيَمُ وَالشَّيَمُ
حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا فُدِحُوا *** حُلُوُ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ
إِنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمْ *** وَإِنْ تَكَلَّمَ يَوْمًا زَانَهُ الْكَلِمُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ *** بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا
اللَّهُ فَضَّلَهُ قَدَمًا وَشَرَّفَهُ *** جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ *** وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهَا الْأُمَمُ
عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ وَانْقَشَعَتْ *** عَنْهَا الْعِمَائَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلُمُ
كَلَّمَا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا *** يُسْتَوَكَّفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ